مجلة رفوف – مخبر المخطوطات – جامعة أدرار – الجزائر ـــــــــــــــ المجلد: 11 / العـدد:02 (جويلية 2023) ص 183– 198
ISSN: 2335-1381 EISSN: 2602-5949 Legal Deposit: 2013-6352

التصوير الفني في القراءات القرءانية

–قصة يوسف عليه السلام أنموذجا–

ARTISTIC DEPICTION IN QURANIC READINGS
THE STORY OF JOSEPH, PEACE BE UPON HIM, AS A MODEL.

مريم غربي[1]، عمر حيدوسي[2]
Meryem Gherbi[1], Omar Hidoussi[2]
1 جامعة الحاج لخضر باتنة1 (الجزائر)، Meryem.gherbi@univ-batna.dz
2 جامعة الحاج لخضر باتنة1 (الجزائر)، hidoussi.72@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/09/11	تاريخ القبول: 2023/03/08	تاريخ النشر: 2023/07/13

الملخص: يتناول هذا البحث لونا من ألوان الإعجاز القرءاني الذي لا تنقضي عجائبه، ويُعرف بالتصوير الفني، بيد أن البحث سيكون في القراءات القرءانية المتعددة، وليس في القراءة الواحدة، حتى يظهر جليا تنوع وتكامل معاني القراءات.

أكثر العلماء من دراسة التصوير في قراءة واحدة دون الرجوع إلى قراءات أخرى قد تُوجد في الآية، مما يُثير في نفس الدارس تساؤلا عن ذلك. فجاءت هذه الدراسة لتكشف عن هذا اللون البديع تطبيقا على نماذج من قصة سيدنا يوسف – عليه السلام–، وتُبيّن مدى تكامل القراءات القرءانية وتنوعها بالتصوير الفني، مجيبة بذلك على إشكالية مفادها: ما أثر القراءات القرءانية على التصوير الفني عموما وفي قصة يوسف عليه السلام خصوصا؟

فالتصوير الفني في القراءات القرءانية وبالخصوص في سورة يوسف عليه السلام ملمح جلي وواضح يصب في خدمة وبيان الأعجاز القرءاني.

الكلمات المفتاحية: قراءات، قرءان، تصوير فني، قصص، سورة يوسف، إعجاز.

Abstract: This research tackles one aspect of the inimitability of the miraculous Quran, which is called the artistic depiction, in different Quranic readings, to show the variety and complementarity of in the meanings of the Quran. Scholars have studied the artistic depiction in just one reading of the Quran, the matter which posed many questions. This study aims to unveil the artistic depiction in Surat of Joseph and show the variety and complementarity of the different Quranic reading. Doing that, I would have answered the following research problem: what is the effect of the different Quranic readings on the artistic depiction in general and that in Surat (Chapter) of Joseph in particular?

Artistic depiction in Quranic reading in general and in Surat Joseph in particular is a very clear aspect illustrating the inimitability of the Quran.

Keywords: readings, Quran, artistic depiction, Surat (chapter) of Joseph, inimitability.

المؤلف المرسل: مريم غربي، **الإيميل:** Meryem.gherbi@univ-batna.dz

مقدمة:

بسم الله الرّحمن الرّحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ثمّ أما بعد:

القرءان الكريم هو المعجزة الخالدة والصالحة لكل زمان ومكان، تحدّى الله بها الثّقلين فعجزوا جميعا عن مجاراته ومحاكاته، وهذا العجز أفضى بهم إلى البحث عن مكامن التفرد والتميز فيه، وقد سال مداد كثير ولا يزال للحديث عن مكامن الجمال والإعجاز في كلامه تعالى، وللبحث عن أسباب ومعاني أخرى، فالقرءان الكريم كما قيل لا يشبع منه العلماء ولا يُخلق على كثرة الرد ومما قيل في إعجازه التّصوير الفني الذي فيه.

عُرف التّصوير الفنّي في القرءان الكريم دون النّظر إلى القراءات القرءانية، وطبّق العلماء وعلى رأسهم سيّد قطب هذه النّظرية بطريقة بديعة وتحليل دقيق، جعلت معاني القرءان تبدُوا وكأنّها مشاهدة وتتكلم عن نفسها، خاصة في القصص القرءاني، الذي تَبْرز فيه ظاهرة التّصوير الفنّي بشكلٍ جلي، ولأن القراءات القرءانية تجعل المعاني متنوعةً والدلالات كثيرةً، تبادر إلى ذهن الباحث إشكالية عن أثر تعدُدِ القراءات القرءانية في التّصوير الفنّي للقصص القرءاني تطبيقا على قصة سيدنا يوسف عليه السلام والتي تتفرد بالكثير من الأغراض والمميزات، فما أثر القراءات القرءانية على التصوير الفني في القصص القرءاني؟ وما الدلالات والمعاني التي يضيفها في مشاهد قصّة يوسف عليه السلام؟

لهذا البحث أهداف تتلخص فيما يأتي:

1–بيانُ أهميّةِ القراءات القرءانية وإعجازها.

2–إبراز أثر اختلاف المعنى على التّصوير الفنّي في قصّة يُوسفَ عليه السّلام.

3–إظهار مدى تكامل القراءات القرءانية ومعانيها من خلال مشاهد من قصّة سيدنا يوسف عليه السّلام.

4– للقصص القرءاني دور كبير وميزة إعجازية خاصة في إيصال المعاني ومرونة تجدها صالحة لكل زمان ومكان.

في حدود الاطلاع وما يحتاجه عرض هذا البحث تم تقسيمه إلى: مقدمة، وثلاثة عناصر، وخاتمة:

العنصر الأول: تطرقنا فيه إلى مفهوم القراءات القرءانية لغة واصطلاحا.

العنصر الثاني: يحتوي على القصص القرءاني تعرفيه، وأهميته، وأغراضه.

العنصر الثالث: وهو الجانب التطبيقي في البحث عرّجنا فيه على مفهوم التصوير الفني، وتعريفٍ بسيط بسورة يوسف –عليه السلام–، ثم التطبيق على أهم النماذج التي يظهر تأثير القراءات القرءانية على التصوير فيها.

أخيرا خاتمة تضم أهم النتائج التي تم التوصل إليها من خلال الدراسة.

أولا: القراءات القرءانية معناها وفوائدها:

أ/_ تعريف القراءات القرءانية:

1/_لغة:

القراءات جمع قراءة، ووردت في المعاجم بمعان متعددة، منها ما يأتي:

هي مصدر من قرأ يقرأ قراءة، القاف والراء والحرف المعتل أصل صحيح يدل على جمع واجتماع، يقال: قرأت القرءان أي لَفظت به جَميعًا، والقِرَاءَةُ: ضمّ الحروف والكلمات بَعضِها إلى بعض في التّرتيل، ويقال: قرَأتِ المرأة: أي رأت الدَّم، والقُرءُ أيضا الطُّهرُ (الفارابي 1407–1987هـ)(الرازي 1399هـ–1979م، 78/5)(الأصفهاني 1412هـ، ص668).

فالقراءة على هذا تدور على معاني الضمِّ والجمعِ.

2/_ اصطلاحا:

أورد العلماء تعريفات كثيرة للقراءات، أكثرها جمعًا ومنعًا تعريف ابن الجزري(ت: 833هـ)، قال: "القراءات: علم بكيفية أداء كلمات القرءان واختلافها بعَزْوِ النّاقلة"(ابن الجزري 1420هـ–1999م، 364/3).

ويعرفها مناع القطان (1420هـ) بقوله: "ولكنّها في الاصطلاح العلمي: مذهب من مذاهب النُطق في القرآن يذهب به إمام من الأئمة القرَّاء مذهبًا يخالف غيره"(القطان 1421هـ–2000م، ص171).

فالقراءات أول شيء منقولة عن الرّسول صلى الله عليه وسلم، والأئمة القراء حاضنون لهذا الحبل المتين من رب العالمين، وهي أيضا تتعلق بطريقة نطق كلمات القرءان الكريم، مما اختاره القراء باختلافٍ بينهم.

ثانيا: القصص القرءاني أهميّته وأغراضه:

أ/– تعريف القصص القرءاني:

من بين أوجه الإعجاز القرءاني الذي قال بها العلماء كالرماني والباقلاني أخبار الغيب الذي جاء بها القرءان الكريم، سواء غيب الماضي أو غيب المستقبل، فمن غيب الماضي ما اشتمل عليه من أخبار الأمم السابقة وعقابهم وبعض التفاصيل عنهم، نقلها لنا في أروع صورة وأدق تفصيل حتى أن القارئ يشعر أنه يشاهدها، ومن أبرز تعريفاتها نذكر:

يعرف السيوطي القصص القرءاني بقوله: "وعلم القصص وهو الاطلاع على أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية ليعلم المطلع على ذلك سعادة من أطاع الله وشقاوة من عصاه"(السيوطي 1394هـ/1974م، 364/3)،

ويعرفها سيد قطب: " القصة في القرءان الكريم عملا فنيا مستقلا في موضوعه وطريقة عرضة، وإدارة حوادثه، أنما هي وسيلة من وسائل القرءان الكثيرة إلى تحقيق هدفه الأصيل، والقرءان كتاب دعوة دينية قبل كل شيء، والقصة إحدى وسائله لإبداع هذه الدعوة وتثبيتها"(قطب 1438هـ/2017م، ص175).

وقصص القرآن أحسن القصص وأصدقها وأكثرها تأثيرا وإقناعا لقوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ ﴾ [يوسف:3]، فرغم أنها قصص غابرة إلا أنها تعطينا عبرا وتوجيهات نعايشها في واقعنا بأسلوب بياني وإعجازي مذهل.

ب/– أهمية القصص القرءاني:

للقصص القرءاني أهمية بالغة، نذكر منها(عباس 1407هـ، ص 9 وما بعدها):

1/–فقد جاء ليُعمق العقيدة في النفوس ويُبصِّر بها العقول، ويُحيِّي بها القلوب، ويَسلك لتلك القضية المهمة الخطيرة أحسن الطرق إمتاعًا وإقناعًا، إمْتاعًا للعاطفة، وإقْناعًا للعقل.

2/–السمو بهذا الانسان حتى يمتاز عن الحيوان الذي يشترك معه في بعض الصفات.

3/– عناية القصص القرءاني ببيان أسباب الهلاك التي يمكن أن تصيب الأمم والجماعات والأفراد، وقد فصل ذلك تفصيلا عجيبا، وهو يتحدث عن الترف والطغيان، والبطر والظلم، والاستعباد الفكري والإرهاب والسخرية والرضا بالذل إلى غير ذلك من الأسباب الكثيرة المبثوثة في هذا القصص.

4/–التركيز على أن التدين الحق لا ينفصل عن الحياة العملية، ولا ينفصم عن واقع هذا الإنسان، وإنما هو مرتبط به ارتباطا وثيقا، بلهو جزء منه.

5/– كما فصل في أسباب السعادة الروحية فصل كذلك أسباب الرقي المادي، حتى تتم السعادة للمؤمنين بهذا القصص العاملين بتوجيهاته وارشاداته.

ما ذكرناه من أهمية للقصص القرءان قطرة من بحرها فمثلما لا تنقضي عجائب القرءان لا تنقضي عجائب وأهمية قصصه.

ج/– أغراض القصص القرءاني:

للقصص القرءاني أغراض كثيرة، أهمها ما يأتي:(قطب 1438هـ/2017م، ص177 وما بعدها):

1/–إثبات الوحي والرسالة، فمحمد صلى الله عليه وسلم لم يكن كاتبا ولا قارئا، ولا عرف عنه أنه يجلس إلى أحبار اليهود والنصارى، ثم جاءت هذه القصص في القرءان، وبعضها جاء في دقة وإسهاب، كقصص إبراهيم عليه السلام، ويوسف، وموسى وعيسى، فورودها في القرءان دليل على وحي يوحى.

2/–بيان أن الدين كله من عند الله، من عهد نوح عليه السلام إلى عهد محمد صلى الله عليه وسلم، وأن المؤمنين كلهم أمة واحدة، والله الواحد رب الجميع.

3/– بيان أن وسائل الأنبياء في الدعوة موحدة، وأن استقبال قومهم لهم متشابه.

4/–بيان أن الله ينصر أنبياءه في النهاية ويهلك الكاذبين، وذلك تثبيتا لمحمد صلى الله عليه وسلم، وتأثيرا في نفوس من يدعوهم إلى الإيمان.

5/– بيان نعمة الله على أنبيائه وأصفيائه، كقصص سليمان وداود وأيوب وإبراهيم ومريم وعيسى وزكرياء ويونس وموسى عليهم السلام، فكانت ترد حلقات من قصص هؤلاء الأنبياء تبرز فيها النعمة في مواقف شتى، ويكون إبرازها هو الغرض الأول، وما سواه يأتي في هذا الموضع عرضا.

تعرض الكثير من العلماء لأغراض القصص القرءاني، وأهم غرض هو صلاحيته لكل زمان ومكان وهذا يدفع للانتفاع وأخذ العبرة منه.

ثانيا: التصوير الفني في قصة يوسف عليه السلام:

أ/– التعريف بسورة يوسف:

مكية، وكلمها ألف وست وسبعون كلمة، وحروفها سبعة آلاف وثلاثة وأربعون، وهي مئة وإحدى عشرة آية ليس فيها اختلاف (ع. الداني 1414هـ، ص167).

رُوي في سبب نزولها عن سعد بن أبي وقاص أنه أنزل القرآن على رسول الله عليه الصلاة والسلام فتلاه على أصحابه زمانا فقالوا: يا رسول الله لو قصصت علينا فنزلت، وقيل: هو تسلية الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم عما يفعله به قومه بما فعلت إخوة يوسف عليه السلام به، وقيل: إن اليهود سألوه صلى الله تعالى عليه وسلم أن يحدثهم بأمر يعقوب وولده وشأن يوسف وما انتهى إليه فنزلت، وقيل: إن كفار مكة أمرتهم اليهود أن يسألوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن السبب الذي أحل بني إسرائيل بمصر فسألوه فنزلت (الألوسي 1415هـ، 362/6).

وإن في هذه السورة أسلوبا خاصا من أساليب إعجاز القرءان وهو الإعجاز في أسلوب القصص الذي كان خاصة أهل مكة يعجبون مما يتلقونه منه من بين أقاصيص العجم والروم، فقد كان النضر بن الحارث وغيره يفتنون قريشا بأن ما يقوله القرءان في شأن الأمم هو أساطير الأولين اكتتبها محمد صلى الله عليه وسلم(بن عاشور بلا تاريخ، 199/5). وقد قيل من أصابه حزن أو غم فليستمع لسورة يوسف، لأنها قدمت مشاهدا كثيرة للابتلاء وللأقدار التي نحسبها شرا وهي تحمل معها كل الخير.

ب/–مفهوم التصوير الفني:

التصوير الفني كما يعرفه صاحب النظرية سيد قطب هو: الأداة المفضلة في أسلوب القرءان، فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة. وهو تصوير باللون، وتصوير بالحركة، وتصوير بالتخييل، كما أنه تصوير بالنغمة تقوم مقام اللون في التمثيل، وكثيرا ما يشترك الوصف والحوار وجرس الكلمات ونغم العبارات، وموسيقى السياق في إبراز صورة من الصور(قطب 1438هـ/2017م، ص45).

يعتبر التصوير الفني في القصة خصيصة من خصائصها (للقصة أربع خصائص: 1_تنوع طريقة العرض، 2_تنوع طريقة المفاجأة، 3_الفجوات بين المشهد والمشهد، 4_التصوير الفني)، فالتعبير القرءاني يتناول القصة بريشة التصوير المبدعة التي يتناول بها جميع المشاهد والمناظر التي يعرضها، فتستحيل القصة حادثا يقع ومشهدا يجري، وله ألوان مختلفة: لون يبدو في قوة العرض والايحاء، ولون يبدو في تخييل العواطف والانفعالات، ولون يبدو في رسم الشخصيات، وليست هذه الألوان منفصلة، ولكن أحدها يبرز في بعض المواقف، ويظهر على اللونين الآخرين(قطب 1438هـ/2017م، ص235).

فالتصوير على هذا يجمع كل الأقوال في إعجاز القرءان الكريم، من الصوت إلى الحرف إلى الكلمة إلى الآية والسورة، حتى يتضح المعنى المراد وكأنك تراه وتتخيله وتسمعه. والتصوير في القراءات القرءانية يزيد من بروز هذه الظواهر ووضوحها وسيتضح ذلك من خلال عرضه على نماذج من القراءات في سورة يوسف عليه السلام.

ج/– نماذج من التصوير الفني في قصة يوسف عليه السلام:

ورد خلاف السبعة في سورة يوسف في المواضع الآتية(أ. الداني 2008، ص319 وما بعدها):

الكلمة	الخلاف
"يا أبت"	قرأ ابن عامر بفتح التاء، والباقون بكسرها. وابن كثير وابن عامر يقفان عليها (يا أبه): بالهاء.
"يا بني"	حفص بفتح الياء، والباقون بكسرها
"آية للسائلين"	ابن كثر على التوحيد، والباقون على الجمع (آيات للسائلين)
"غيابات الجب"	نافع على الجمع، والباقون على التوحيد (غيابة الجب)
"يرتع ويلعب"	الكوفيون ونافع بالياء فيهما، والباقون بالنون (نرتع ونلعب). وكسر الحرميان العين من (يرتع)، وجزها الباقون.
"الذئب"	ورش والكسائي وأبو عمرو بغير همز، والباقون بالهمز.
"يا بشرى"	الكوفيون على وزن (فعلى) وأمال فتحة الراء حمزة والكسائي، والباقون بألف بعد الراء وفتح الياء (بشراي). وقرأ ورش الراء بين اللفظين، والباقون بإخلاص فتحها.
"هيت لك"	نافع وابن ذكوان بكسر الهاء، من غير همز، وفتح التاء. وهشام كذلك إلّا أنه يهمز وقد روي عنه ضم التاء. وابن كثير بفتح الهاء وضم التاء. والباقون بفتحها.
"المخلصين"	الكوفيون ونافع بفتح اللام، والباقون بكسرها.
"حاشا لله"	أبو عمرو بألف بعد الشين في الوصل، فإذا وقف حذفها اتباعا للخط. والباقون بغير ألف في الحالين.
"دأبا"	حفص بتحريك الهمز، والباقون بإسكانها.
"وفيه تعصرون"	حمزة والكسائي بالتاء، والباقون بالياء (يعصرون).
"بالسوء إلا"	قالون والبزي بواو مشددة، بدلا من الهمزة في حال الوصل، وتحقيق همزة (إلا). ورش وقنبل على أصلهما في الهمزتين المكسورتين. وأبو عمرو على أصله أيضا والباقون على أصولهم.

"حيث نشاء"	ابن كثير بالنون، والباقون بالياء
"وقال لفتيانه"	حفص وحمزة والكسائي بالألف والنون، والباقون بالتاء من غير ألف (فتيته).
"أخانا يكتل"	حمزة والكسائي بالياء، والباقون بالنون (نكتل)
"خير حافظا"	حفص وحمزة والكسائي بفتح الحاء، وألف بعدها، وكسر الفاء. والباقون بكسر الحاء وإسكان الفاء، من غير ألف (حفظا).
"إنّك لأنت"	ابن كثير بهمزة مكسورة على الخبر، والباقون على الاستفهام على أصولهم.
"نوحي إليهم"	حفص بالنون وكسر الحاء، والباقون بالياء وفتح الحاء (يوحى)، وحمزة والكسائي يميلانها على أصلهما.
"قد كذبوا"	الكوفيون بتخفيف الذال، والباقون تشديدها.
"أفلا تعقلون"	نافع وعاصم وابن عامر بالتاء، والباقون بالياء (يعقلون).
"فنجّي من نّشاء ولا يردّ"	عاصم وابن عامر بنون واحدة وتشديد الجيم وفتح الياء، والباقون بنونين، والثانية ساكنة، وتخفيف الجيم، وإسكان الياء

وفيما يأتي عرض للتصوير الفني في أهم الكلمات المختلف في قراءتها والتي يظهر أثر تنوع القراءات القرءانية فيها بارزا وواضحا:

أولا: قوله تعالى: ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (10) ﴾ (سورة يوسف).

قرأ نافع في غيابات الجب بالألف أراد ظلم البئر ونواحيها لأن البئر لها غيابات فجعل كل جزء منها غيابة فجمع على ذلك، وقرأ الباقون غيابة وحجتهم أنهم ألقوه في بئر واحدة في مكان واحد لا في أمكنة(الأزهري 1412هـ، 46/2).

والغيابة: قال الهروي: "شبه لجف أو طاق في البئر فويق الماء يغيب ما فيه عن العيون. وقال الكلبي: الغيابة تكون في قعر الجب؛ لان أسفله واسع ورأسه ضيق فلا يكاد الناظر يرى ما في جوانبه. وقال الزمخشري: هي غوره وما غاب منه عن عين الناظر وأظلم من أسفله (شهاب الدين بلا تاريخ، 446/6). يا لعجيب هذا الصنيع وهذه الغيابة أو الغيابات التي ألقي فيها عليه السلام، كأنه لا بد للعبور إلى النور من ظلمة تعتصرك.

أنظر إلى قراءتي (غيابة الجب) و (غيابات الجب)، ألقوه في جب واحد، وقراءة غيابة تفيد ذلك وغيابات الجب تزيد المعنى وترسم صورا وخيالا لهذه الغيابات التي ألقي فيها سيدنا يوسف عليه السلام، ذاك الفتى الصغير الذي لا يعرف ماذا يحدث له، ولماذا رماه إخوته، وكيف حال أبيه، ثم ما الذي يحل به هناك، كل هذه غيابات تحاوطه داخل ذلك البئر المظلم، وهكذا حال الإنسان كلما أحاطت به ظلمة استحال كل ما حوله ظلاما في رأيه ولكنه يجهل حكمة الله، ولربما كل غيابة ألقينا فيها هي مثل غيابات سيدنا يوسف عليه السلام، كلمة واحدة بقراءتين مختلفتين رسمت مشهدا مذهلا وكأنه قصة أخرى داخل قصة، لكنها تحدث داخل البئر وداخل سيدنا يوسف عليه السلام، والله أعلم.

ثانيا: قوله تعالى: ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (12) ﴾ (سورة يوسف)

اختلف القراء في قوله تعالى: (يرتع ويلعب)، يقرءان بالنون والياء، وبكسر العين وإسكانها. فالحجة لمن قرأهما بالنون: أنه أخبر بذلك عن جماعتهم(ابن خالويه 1401هـ، ص194)فأسند الفعلان إليهم، ويكون المراد إخبار الإخوة عن أنفسهم؛ أنهم السبب في الرعي فهم بالغون كاملون(المكاوي بلا تاريخ، ص238). والحجة لمن قرأه بالياء: أنه أخبر بذلك عن يوسف دون إخوته والقراءة توحي أيضا إلى أنهم قالوا ذلك لأبيهم يعقوب – عليه السلام– خداعا منهم له، بإعلامه أنهم يتلطفون بأخيهم يوسف –عليه السلام– إذ سألوه أن يرسله معهم لينشط بخروجه إلى الصحراء ويلعب هناك، كأنهم قالوا: يباشر رعي الإبل والماشية فيتدرب ويترجل، ويعرف ما يعرف الرجال، ويلعب كما يلعب الصبيان، لأنه كان صغير السن، فمرة يرتع ومرة يلعب فيجتمع النفع والسرور(المكاوي بلا تاريخ، ص238).

والحجة لمن أسكن العين: أنه أخذه من رتع يرتع: إذا اتسع في الأرض مرحا ولهوا. ونلعب: نلهو ونسرّ. والحجة لمن كسرها: أنه أخذه من الرّعى. وأصله: إثبات الياء فيه فحذفها دلالة على الجزم، لأنه جواب للطلب في قولهم (أرسله معنا)، فبقيت العين على الكسر الذي كانت عليه(ابن خالويه 1401هـ، ص194).

تعدد القراءات هنا جعل المشهد مليئا بالمعاني والدلالات، وحين نسدل الستار عنه يتضح جليا مكر الإخوة وتذبذبهم، فكأنك بهم مختلفون منهم من يقول (نرتع ونلعب) ومنهم من يقول (يرتع ويلعب)، يستغلون بالياء (يرتع

ويلعب) حب سيدنا يعقوب عليه السلام ليوسف عليه السلام، ليرى ابنه متعلما للرعي ومستمتعا باللعب، ثم يطمئنونه بالنون (نرتع ونلعب) كأنهم سيرافقونه ويحرسونه في رتعه ولعبه، فالمخادعين في كل زمان ومكان يجعلونك ترى المصلحة ويضمرون المكيدة إلى حينها، وهكذا فضحت القراءات القرءانية إخوة يوسف عليه السلام في حيلتهم هذه في مشهد مفعم بالمعاني والدلالات المتكاملة.

ثالثا: قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (13) قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ (14) ﴾ (سورة يوسف).

وقوله أيضا: ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (17) ﴾ (سورة يوسف)

قرأ أبو عمرو والكسائي وورش عن نافع (الذيب) بغير همز فأراد بذلك: التخفيف. وقرأ الباقون بالهمز وهو الأصل لأنه مأخوذ من تذاءبت الريح إذا أتت من كل ناحية فكأنه شبه من خفته وسرعة حركته بالريح أنها ساكنة(ابن زنجلة بلا تاريخ، ص357)(ابن زنجلة بلا تاريخ، ص194).

أظهر لهم سبب امتناعه من خروج يوسف عليه السلام معهم إلى الريف بأنه يحزنه لبعده عنه أياما، وبأنه يخشى عليه الذئاب، وإنما ذكر يعقوب عليه السلام أن ذهابهم به غدا يحدث به حزنا مستقبلا ليصرفهم عن الإلحاح في طلب الخروج به لأن شأن الابن البار أن يتقي ما يحزن أباه(بن عاشور بلا تاريخ، 12/230–231)، هنا وقع الاختلاف بين القراء في كلمة (ذئب) وكأنها مفتاح هذا المقطع من القصة وقد تكررت ثلاث مرات، فخوفه عليه السلام من الذئب وإخبارهم بذلك وكأنه يستجدي برّهم، زادهم مكرا وحيلة، واستخدموا خوفه ضده، فقالوا "لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا لخاسرون"، واللام في "لئن أكله الذئب" موطئة للقسم أرادوا تأكيد الجواب باللام، والمراد الكناية عن عدم تفريطهم فيه وعن حفظهم إياه لأن المرء لا يرضى أن يوصف بالخسران(بن عاشور بلا تاريخ، 12/230–231)لكن الحقيقة عكس ذلك تماما، وكل أقوالهم كذب وعقوق، يبيتون المكيدة والشر ويظهرون المروءة والصلاح، وكأن اختلاف القراءة هنا بينت نيتهم واستغلالهم لموطن الخوف عن أبيهم عليه السلام، وربما هذه الطريقة الآن تستخدم كسياسة عالمية، فالشعوب في كل العالم تعيش مخاوفها لأنها شعرت بها بصوت مرتفع أكثر من اللازم فاستعبدت من خلالها.

لنكمل المشهد الآن بعدما قام الإخوة بفعلتهم في يوسف عليه السلام، جاءوا أباهم عشاء يبكون، لماذا؟ لأن الذئب أكل يوسف عليه السلام، وجاءوا بالدليل (وجاءوا على قميصه بدم كذب)، كأن الحدث لم يمر عليه زمن، كأن كل هذا وقع في لحظة واحدة، وذكر الفراء أنهم قالوا ليعقوب عليه السلام: أكله الذئب. وقد غمسوا قميصه فِي دم

جَدْيٍ. فقال: لقد كَانَ هذا الذئب رفيقًا بابْني، مزَّق جلده ولم يُمَزق ثيابه(الفراء بلا تاريخ، 38/2). عرف المكيدة وأدرك كل ما حاكه أبناؤه، وها هو قد تأكد من القميص.

المشهد غاية في الدقة والتصوير، ومشاهد القصة متسلسلة ومترابطة كأنها حدث واحد ليس بينه زمن، وهذا إعجاز قرءاني مبهر.

رابعا: قوله تعالى: ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (23) ﴾ (سورة يوسف)

اختلفوا في قوله(هيت لك) فقرأ ابن كثير (هيت لك) بفتح الهاء وتسكين الياء وضم التاء وقرأ نافع وابن عامر {هيت لك} بكسر الهاء وتسكين الياء ونصب التاء وروى هشام بن عمار بأسناده عن ابن عامر (هئت لك) من تهيأت لك بكسر الهاء وهمز الياء وضم التاء كذلك حدثني ابن بكر مولى بنى سليم عن هشام وقال الحلواني عن هشام (هئت لك) يهمز ويفتح التاء ويكسر الهاء ولم يذكر ابن ذكوان في الهمز شيئا وقرأ عاصم وأبو عمرو وحمزة والكسائي(هيت لك) بفتح الهاء وسكون الياء وفتح التاء.(ابن مجاهد 1400هـ، ص348.)

يُقرأ بفتح الهاء وكسرها، وبضم التاء وفتحها. فالحجة لمن فتح الهاء، وضم التاء: أنه شبهه بـ «حيث».(ابن خالوبه 1401هـ، ص347)وقال أبو علي الفارسي: فأما الضم من {هيت} فلأنها بمعنى الغايات كأنها قالت دعائي لك فلما حذفت الإضافة وتضمنت هيت معناها بنيت على الضم كما بنيت حيث ومن كسر الهاء وفتح التاء، فإنما كسرها لمكان الياء.(ابن زنجلة بلا تاريخ، ص358) والحجة لمن فتح الهاء والتاء: أنه جعلها مثل الهاء في (هلمّ) وفتح التاء، لأنها جاءت بعد الياء الساكنة كما قالوا: (أين) و (ليت) و (كيف).(ابن خالوبه 1401هـ، ص194)

قال الزجاج أما فتح التاء في هيت فلأنها بمنزلة أصوات ليس منها فعل يتصرف ففتحت التاء لسكونها وسكون الياء واختير الفتح لأن قبل التاء ياء كما قالوا كيف وأين، وقرأ هشام / هئت / بالهمز من الهيئة كأنها قالت تهيأت لك.(ابن زنجلة بلا تاريخ، ص347)

تناول العلماء قصة المراودة بكثير من الشرح والتفصيل، فمن بداية الآية تبدأ المشاهد التي تظهرها براعة التصوير بأنامل البلاغة المعجزة، فأنظر رعاك الله إلى قوله (راودته)، ثم قوله (غلّقت)، وأخيرا الكلمة التي فيها تعدد القراءات (هيت)، كلمات ثلاث صورت المشهد بطريقة تثبت أن هذا ليس بكلام بشر، إنما كلام منزل من رب البشر، وساعة تسمع (راود) فافهم أن الأمر فيه منازعة مثل: (فَاعَل) أو (تَفاعل) (الشعراوي 1997م، ج11، ص6904)، ومعناه: طلبت إليه أن يمكنها من نفسه، يعني: امرأة العزيز واسمها زليخا وَغَلَّقَتِ الْأَبْوابَ عليها وعلى يوسف، وجعلت تغمزه وتمازحه، ويوسف يعظها بالله ويزجرها، ورُوي عن ابن عباس، أنه قال: (كان يوسف إذا تبسم، رئيت النور في

ضواحكه، وإذا تكلم رأيت شعاع النور في كلامه يذهب من بين يديه، ولا يستطيع آدمي أن ينعت نعته». فقالت له: يا يوسف ما أحسن عينيك! قال: هما أول شيء يسيلان إلى الأرض من جسدي. ثم قالت:يا يوسف ما أحسن ديباج وجهك! قال: هو للتراب يأكله. ثم قالت: يا يوسف ما أحسن شعرك! قال: هو أول ما ينتثر من جسدي).(السمرقندي 1431هـ، ج2، ص187)

وقوله (وغلّقت)، قيل كانت سبعةً ولذلك جاء الفعل بصيغة التفعيل دون الإفعال وقيل للمبالغة في الإيثاق والإحكام(أبو السعود 1431هـ، ج4، ص265)

كل ما سبق يجعل المشهد يتطور ومع تطوره يزداد وضوحا، فمن مراودتها له وإغرائها بطيب الكلام، إلى غلقها الأبواب وجاءت بصيغة المبالغة كي يتضح أنها كانت تحاول منعه من الخروج والهرب بأي طريقة، ويكأنها تعرف عفة يوسف عليه السلام، حتى أمامها، وهي أجمل امرأة آنذاك، بعدما راودته وغلقت استسلمت وسلمت نفسها لنزواتها الشيطانية وفقدت كامل سيطرتها على نفسها وشهوتها قالت: (هيت لك)، والمستمع للقراءات المختلفة لهذه الجملة البديعة يستشعر أن امرأت العزيز لم يبق لها عقل تفكر به، ولا كيان ولا كبرياء المرأة، إنما سلمت نفسها واستسلمت تماما، هذا من جهة، ومن جهة المستمع لو أنه كان المقصود بالكلمة يشعر أنه صار السيد والمسيطر في ذلك الموقف، فالكلمة قرئت بجميع الوجوه المحتملة لها تقريبا، حتى ليشعر أنه لن يستطيع انتشال نفسه من الموقف، وسينقاد وراء رغبته كيف لا وكل الأمور مبسوطة ومهيأة أمامه، هنا تظهر عفة سيدنا يوسف عليه والسلام، وصدق توكله على ربه سبحانه، وأيضا شعوره بالامتنان والشكر لله عز وجل، فيختم كل هذه الثورة، وينقذ نفسه وينقذنا منها بقوله عليه السلام: ﴿ **مَعاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ** ﴾. فعلى الانسان أن يستشعر فضل الله عليه دائما وأبدا، وأن يستعيذ به حينما تحوطه الدنيا وفتنها من كل جانب، وهذا الوقت بالتحديد كأننا نعيش مشهد سيدنا يوسف عليه السلام لكن زليختنا مختلفة فقط، فزمننا مليء بالفتن وكل فتنة تقول (هيت لك)، والسبيل للنجاة هو الاستعاذة بالله منها واستشعار رقابة الله عز وجل وفضله، ثم مداومة حمده وشكره، وأخيرا ذكر هاذم اللذات، والمآل الذي سيكون عليه العبد عند ربه.

خامسا: قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِها لَوْلا أَنْ رَأى بُرْهانَ رَبِّهِ كَذلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُخْلَصِينَ (24) ﴾ (سورة يوسف)

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر (المخلصين) بكسر اللام في جميع القرآن أي أخلصوا دينهم وأعمالهم من الرياء وحجتهم قوله {وأخلصوا دينهم} وقوله (مخلصا له ديني) فإذا أخلصوا فهم مخلصون تقول رجل مخلص مؤمن فترى الفعل في اللفظ له، وقرأ أهل المدينة والكوفة (المخلصين) بفتح اللام أي الله أخلصهم من الأسواء والفواحش فصاروا

مخلصين وحجتهم قوله تعالى {إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار} فصاروا مخلصين بإخلاص الله إياهم. (ابن زنجلة بلا تاريخ، ص358، 359)

قال البيضاوي في تفسيره لهذه الآية: (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِها وقصدت مخالطته وقصد مخالطتها، والهم بالشيء قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذي إذا هم بالشيء أمضاه، والمراد بهمه عليه السلام ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري، وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والأجر الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم، أو مشارفة الهم. لَوْلا أَنْ رَأى بُرْهانَ رَبِّهِ في قبح الزنا وسوء مغبته لخالطها لشبق الغلمة وكثرة المبالغة، ولا يجوز أن يجعل وَهَمَّ بِها جواب لَوْلا فإنها في حكم أدوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها، بل الجواب محذوف يدل عليه. وقيل رأى جبريل عليه الصلاة والسلام. وقيل تمثل له يعقوب عاضاً على أنامله. وقيل نودي يا يوسف أنت مكتوب في الأنبياء وتعمل عمل السفهاء..(البيضاوي 1418هـ، ج3، ص130.)

رأى يوسف عليه السلام برهان ربه، في قبح الزنا وشناعته بأي طريقة من الطرق التي ذكرها المفسرون، وصرف الله عنه السوء والفحشاء، فهو من عباد الله المخلصين بفتح اللام وبكسرها، وهي تعليلٌ لما سبق من مضمون الجملةِ بطريق التحقيقِ(أبو السعود 1431هـ، ج4، ص267)، بهذه الجملة المأكدة انتهى مشهد المراودة ونجاته عليه السلام منه، وعلى توجيه القراءتين فيوسف عليه السلام أخلص دينه وعمله من الرياء وجعل حياته لله ونصرة دينه، فأخلصه الله له وأنقذه عليه السلام، وهنا تتجلى حلقة حياة الأنبياء وسر الاصطفاء، هنا تتبدى حياة الأنبياء، بكلمة واحدة تؤدى بوجهين فتح وكسر، انكسروا لله ففتح لهم أبواب الخير وأي خير، أخلصهم له سبحانه، كسروا عنق شهواتهم، وداسوا على الفواحش ففتحت لهم رحمات الله وعناياته. نجح يوسف عليه السلام في اختباره بإخلاصه لله فأخلصه الله لنفسه ونجاه.

أخيرا فإنّ النماذج المتبقية تحمل في طياتها تصويرا بديعا، ولكن المجال هاهنا ضيق، وربما يُوجد من يفتح الله عليه باستنباطات ومعان جليلة لم تظهر لغيره، فالقراءات القرءانية بمعانيها المتنوعة ودلالاتها المتكاملة أبرز مظهر من مظاهر الإعجاز والذي يظهر أنه لم يلق نصيبه من الدراسة والبحث والشيوع، مقارنة بدراسة إعجاز القرءان الكريم معتمدين على قراءة واحدة ووجه واحد.

خاتمة:

تطرق البحث إلى نماذج من التصوير الفني لبعض القراءات القرءانية في سورة يوسف عليه السلام، في قوله تعالي: (غيبت) و(يرتع) و(يلعب) و(هيت لك)، و(مخلصين)، وقد تبيّن من خلال المشاهد التي أضافها تعدد

معاني القراءات تصويرا وألوانا عديدة تجعل المشهد حيا ماثلا أمامنا، وتزيد في حركيته ودقته وأيضا قابلية الاعتبار به في كل زمان ومكان.

وقد تم التوصل في حدود الاطلاع إلى النتائج الآتية:

1/– تتضمن سورة يوسف عليه السلام مشاهد تبرز خاصية التصوير الفني في القرءان الكريم.

2/– للقراءات القرءانية أثر بالغ في إبراز التصوير الفني في القصص القرءاني، فكأنها مشهد داخل مشهد.

3/– اختلاف القراءات القرءانية وتنوع معانيها المتكاملة فيما بينها مظهر من مظاهر الإعجاز القرءاني.

4/– للقصص دور تربوي وإرشادي كبير، بطريقة وأسلوب ماتع ومقنع.

5/– التصوير الفني في القراءات القرءانية يبين جماليات القرءان الكريم خاصة في القصة القرءانية ويحتاج منا إلى مزيد دراسة وبحث للولوج إلى هاته المعاني واستخراجها.

تجدر الإشارة إلى أهمية التصوير الفني في القراءات القرءانية وخدمته للدراسات القرءانية فهو يصب مباشرة ويربط بين اللغة والقراءات والإعجاز، لذلك حري بنا الالتفات إليه ودراسته ولما لا وضع فرق ومخابر خاصة بالبحث في إعجاز القراءات القرءانية، وهذا ما يظهر قليلا جدا، خاصة وأنه غلب علينا الجانب النظري، وتكرار ما جاد به علينا علماؤنا الاوائل بطرق وأساليب وتحت مسميات وعناوين مختلفة.

وفي الأخير الكمال لله ولكتابه، والانسان معرض للخطأ والسهو، فما أصبت فيه فمن الله وحده، وما أخطأت فيه فمن نفسي والشيطان، والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع:

القرءان الكريم رواية حفص عن عاصم

1. أحمد نبيه المكاوي. "أثر اختلاف القراءات في القصص القرءاني –قصة يوسف عليه السلام– نموذجا." *المجلة العلمية لكلية القرءان الكرمي للقراءات وعلومها بطنطة، جامعة الأزهر*، بلا تاريخ: العدد3.
2. أبو بكر ابن مجاهد. *السبعة في القراءات،تح: شوقي ضيف*. مصر: دار المعارف، ط2، 1400هـ.
3. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي. معجم *مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون*. دار الفكر، 1399هـ–1979م.
4. جلال الدين السيوطي. *الاتقان في علوم القرءان، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم*. الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ/1974م.

5. أبو زكريا الفراء. *معاني القرءان، تح: أحمد يوسف النجاتي وآخرون.* القاهرة: دار المصرية للتأليف والترجمة، ط1، بلا تاريخ.
6. سيد قطب. *التصوير الفني في القراءن.* بيروت– لبنان: دار ابن حزم، ط1، 1438هـ/2017م.
7. شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري. *منجد المقرئين ومرشد الطالبين.* القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1420هـ–1999م.
8. شهاب الدين الألوسي. *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح: علي عبد الباري عطية.* بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ.
9. أبو عبد الله ابن خالويه. *الحجة في القراءات السبع، تح: عبد العال سالم مكرم.* بيروت: دار الشروق، ط4، 1401هـ.
10. أبو علي الفارسي. الحجة للقراء السبعة، تح: بدر الدين قهوجي، وبشير جويجاني، دمشق، بيروت، دار المأمون للتراث، ط2، 1413هـ.
11. أبو عمرو الداني. *التيسير في القراءات السبع، تح: حاتم الضامن.* الإمارات: مكتبة الصحابة، 2008.
12. أبو العباس شهاب الدين. *الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: أحمد محمد الخراط.* دمشق: دار القلم، بلا تاريخ.
13. عبد الرحمن ابن زنجلة. *حجة القراءات، تح: سعيد الأفغاني.* دار الرسالة، بلا تاريخ.
14. عثمان أبو عمرو الداني. *البيان في عد آي القرءان، تح: غانم قدوري الحمد.* الكويت: مركز المخطوطات والتراث، ط1، 1414هـ.
15. فضل حسن عباس. *القصص القرءاني إيحاؤه ونفحاته.* دار الفرقان، ط1، 1407هـ.
16. أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني. *المفردات في غريب القرءان، تح: صفوان عدنان الداودي.* دمشق–بيروت: دار القلم، الدار الشامية، ط1، 1412هـ.
17. أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي. *بحر العلوم* . 1431هـ.
18. محمد أبو منصور الأزهري. *معاني القراءات القرءانية.* السعودية: مركز البحوث في كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ط1، 1412هـ.
19. محمد الطاهر بن عاشور. *التحرير والتنوير.* تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، مج5، بلا تاريخ.

20. محمد بن محمد بن مصطفى أبو السعود. *إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1431هـ.

21. محمد متولي الشعراوي. *تفسير الشعراوي*. مطابع أخبار اليوم، 1997م.

22. مناع بن خليل القطان. *مباحث في علوم القرءان*. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط3، 1421هـ–2000م.

23. ناصر الدين، البيضاوي. *أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي*. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1418هـ.

24. أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي. *تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار*. بيروت: دار العلم للملايين، ط4، 1407–1987هـ.